

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ [النور: 56]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

زَبَطُ معاني
الأعمال
الصالحات،
بالشعائر وطاعة
الرَّسُولِ الْمُبَلَّغِ

لَمَّا قَدَّمَ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، شَرَطَ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ؛ بَيَّنَّهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَنَصَّ عَلَى أَهْمِّهَا، وَهِيَ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَعَمَّ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ؛ لِأَنَّهَا عَامَّةٌ لَجَمِيعِ الطَّاعَاتِ⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَأَطِيعُوا﴾: (طوع) أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِصْحَابِ وَالْإِنْقِيَادِ⁽²⁾، وَلْيُونَةُ الشَّيْءِ وَتَأْتِيهِ لِمَا يُرَادُ مِنْهُ⁽³⁾، يُقَالُ: طَاعَهُ يَطُوعُهُ؛ إِذَا انْقَادَ لَهُ، وَأَطَاعَهُ بِمَعْنَى: طَاعَ لَهُ، وَيُقَالُ لِمَنْ وَاظَقَ غَيْرَهُ: قَدْ طَاوَعَهُ⁽⁴⁾، وَالتَّطَوُّعُ فِي الْأَصْلِ: تَكْلُفُ الطَّاعَةِ، وَهُوَ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ لِلتَّبَرُّعِ بِمَا لَا يُلْزَمُ، كَالْتَنْفُلِ، وَالِاسْتِطَاعَةُ: وَجُودُ مَا يَصِيرُ بِهِ الْفِعْلُ مُتَأْتِيًا⁽⁵⁾، وَالْمُرَادُ بِالْآيَةِ: الْإِنْقِيَادُ لِلْمَأْمُورِ بِهِ.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

ارتباطُ فعل
الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
فِي الْإِسْلَامِ
بِطَاعَةِ الرَّسُولِ

يَقُولُ ﷺ: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ بِحُدُودِهَا، وَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَآتُوا الزَّكَاةَ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِمُسْتَحَقِّيِّهَا، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ؛ كَي يَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ، فَيُنْجِيَكُمْ مِنْ عَذَابِهِ⁽⁶⁾.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 193.

(2) ابن فارس، معاني اللغة: (طوع).

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (طوع).

(4) ابن فارس، معاني اللغة: (طوع).

(5) الرَّاغِب، المفردات: (طوع).

(6) ابن جرير، جامع البيان: 210 / 19.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة إعراب جملة «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ»:

قيل: قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» معطوف على قوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»، ولا يضر الفصل؛ لأنه لا يبعد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل، وإن طال⁽¹⁾، وقيل: هو معطوف على مُقَدَّرٍ، وذلك أنه لما تمت البُشْرَى، وكان التقدير: فاعملوا، واعبدوا؛ عطف عليه قوله: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ»⁽²⁾، وقيل: هو عطف على جملة «يَعْبُدُونِي لَا يَشْرِكُونَ بِي شَيْئًا»؛ لما فيها من معنى الأمر بترك الشرك، فكأنه قيل: اعبدوني، ولا تشركوا، وأقيموا الصلاة؛ لأن الخبر إذا كان يتضمن معنى الأمر؛ كان في قوة فعل الأمر⁽³⁾.

בלغة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

قوله: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ»، التفات من الغيبة إلى الخطاب، ويحسنه الخطاب في «منكم»⁽⁴⁾، وذلك في سياقها وسياق ما قبلها، حيث يقول تعالى: «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، والأمر هنا - مع تلون الصيغ بين الغيبة والحضور - لفت للانتباه؛ لترك ما بُشِّع من الفسق وحيثياته، وللدعوة لإقامة الشعائر المانعة منه، من أداء الصلاة وإيتاء الزكاة، في ظل طاعة تامة لله تعالى ورسوله ﷺ؛ لتحصيل الرحمة المنصوص عليها في السياق.

دلالة الأمر في أفعال الأمر في الآية:

صيغة الأمر في قوله جل وتبارك: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»، تفيد الوجوب، فالصلاة والزكاة أما العبادات، ومن أركان الإسلام، وطاعة الرسول ﷺ هي ملاك الأمر، وسِرُّ

احتمال الجملة
وجوهًا من
الإعراب، من
بليغ البيان في
الخطاب

إبراز شعيرتي
الصلاة والزكاة،
للحصانة من
الفسق والآفات

الأمر غايته
الوجوب،
ومفاده الائتمار
بما ورد في
السياق

(1) الزمخشري، الكشاف: 252/3.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 307/13، والشوكاني، فتح القدير: 56/4.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 289/18.

(4) أبو حيان، البحر للحيط: 66/8.

السَّعَادَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، وَقَدْ ارْتَبَطَ الْأَمْرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْكَانِ - كَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ - بِطَاعَةِ الرَّسُولِ الْمُبْلَغِ فِي سَائِرِ مَا يَأْمُرُ بِهِ، قَالَ أَبُو السُّعُودِ: "أَيُّ: وَأَطِيعُوهُ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَينَهَاكُمْ عَنْهُ، أَوْ تَكْمِيلًا لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْأَمْرَيْنِ الْخَاصَّيْنِ الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِمَا ذُكِرَ مَا عَداهُمَا مِنَ الشَّرَائِعِ، أَيُّ: وَأَطِيعُوهُ فِي سَائِرِ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ"⁽¹⁾.

بلغة الاستعارة في جملة: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ»:

تشبيه الصلوة
بالعود الذي
يقوم، من بليغ
التصوير

فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» استعارة لطيفة؛ لَأَنَّ إِقَامَتَهَا عِبَارَةٌ عَنْ تَعْدِيلِ أَرْكَانِهَا، وَحِفْظِهَا مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ فُرَاطِهَا وَسُنَنِهَا وَأَدَابِهَا زَيْغٌ، مِنْ أَقَامَ الْعُودَ؛ إِذَا قَوْمَهُ، وَعَدَّلَهُ، وَقِيلَ: إِقَامَتُهَا عِبَارَةٌ عَنِ الْمَوَاطِبَةِ عَلَيْهَا، مَاخُوضٌ مِنْ قَامَتِ السُّوقُ؛ إِذَا نَفَقَتْ، فَإِنَّهَا إِذَا حُوِظَ عَلَيْهَا؛ كَانَتْ كَالنَّافِقِ الَّذِي يُرْعَبُ فِيهِ، وَقِيلَ: إِقَامَتُهَا عِبَارَةٌ عَنِ التَّشْمُرِ لِأَدَائِهَا، عَنْ غَيْرِ فُتُورٍ وَلَا تَوَانٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَامَ بِالْأَمْرِ، وَأَقَامَهُ، إِذَا جَدَّ فِيهِ، وَاجْتَهَدَ، وَقِيلَ: إِقَامَتُهَا عِبَارَةٌ عَنْ أَدَائِهَا، عُبِّرَ عَنْهُ بِالْإِقَامَةِ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْقِيَامِ⁽²⁾، فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ.

دلالة (أل) في لفظ «الصَّلَاةِ»:

تنوع دلالة
الحروف مفيد
في البيان للألوف

الظَّاهِرُ أَنَّ (أَل) فِي لَفْظِ «الصَّلَاةِ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» لِلْعَهْدِ، وَالْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ خُصُوصُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ الْمَفْرُوضَةِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ فِي «الصَّلَاةِ» لِلْجَنَسِ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ عُمُومَ الصَّلَوَاتِ، سَوَاءً كَانَتْ فَرَضًا أَمْ نَفْلًا، وَصِيغَةُ الْوَجُوبِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ النَّافِلَةَ يَجِبُ فِيهَا أَيْضًا تَعْدِيلُ أَرْكَانِهَا وَحِفْظُهَا مِنْ أَنْ يَقَعَ فِيهَا زَيْغٌ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 289 / 18.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 31 / 1.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالِإِيتَاءِ دُونَ الْأَدَاءِ فِي الْآيَةِ:

عُبِّرَ فِي قَوْلِ الْحَقِّ تَبَارَكَ شَأْنُهُ: ﴿وَعَاثُوا الزَّكَاةَ﴾ بِالِإِيتَاءِ دُونَ الْأَدَاءِ، فَلَمْ يَقُلْ: (وَأَدُّوا الزَّكَاةَ)؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الزَّكَاةَ عَطَاءٌ يُعْطَى، وَيُعْطِيهَا الْمُزَكِّي عَلَى أَنَّهَا مَغْنَمٌ، لَا عَلَى أَنَّهَا مَغْرَمٌ، وَهِيَ تَعَاوُنٌ اجْتِمَاعِيٌّ لَا مَدْلَّةٌ فِيهِ لِفَقِيرٍ، وَلَا اسْتِطَالَةٌ لِفَنِيٍّ⁽¹⁾.

الإشارة إلى أنَّ
الزَّكَاةَ عَطَاءٌ
يُؤْتَى، لَا غَرَامَةٌ
تُزَجَّى

معنى (أَل) في لفظ ﴿الزَّكَاةَ﴾:

(أَل) فِي لَفْظِ ﴿الزَّكَاةَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَاثُوا الزَّكَاةَ﴾ لِلْعَهْدِ، وَالْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ: الزَّكَاةُ الْمَعْهُودَةُ، وَهِيَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، بِقَرِينَةِ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَاثُوا﴾، فَإِنَّهُ لِلْوَجُوبِ.

بيان أنَّ (أَل)
لمعهود الزَّكَاةُ
المعروفة
في الأركان
الواجبات

سِرُّ اقتران الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فِي الْأَمْرِ بِهِمَا:

اقْتَرَنَ الْأَمْرُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ بِالْأَمْرِ بِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، فِي قَوْلِ الْحَقِّ تَبَارَكَ شَأْنُهُ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاثُوا الزَّكَاةَ﴾؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ هُمَا أُمَّا الْعِبَادَاتِ فِي الْإِسْلَامِ، فَالصَّلَاةُ أُمُّ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، وَالزَّكَاةُ أُمُّ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ، وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْقُرْآنِ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا، فَلَا تَكَادُ تُذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا دُونَ ذِكْرِ الْأُخْرَى، وَعَقَلَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ﷺ هَذَا الْمَعْنَى، فَاحْتَجَّ بِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ فِي الرَّدَّةِ، فَقَالَ: "وَاللَّهِ، لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ"⁽²⁾.

بيان أنَّ الصَّلَاةَ
والزَّكَاةَ هُمَا
مُرْتَكِزَا أَشْرَفِ
الْعِبَادَاتِ

عِلَّةُ تَقْدِيمِ ﴿الصَّلَاةَ﴾ عَلَى ﴿الزَّكَاةَ﴾:

قُدِّمَتِ الصَّلَاةُ عَلَى الزَّكَاةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاثُوا الزَّكَاةَ﴾؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ هِيَ الرُّكْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي فُرِضَ مِنَ اللَّهِ مَبَاشَرَةً فِي رَحْلَةِ الْمِعْرَاجِ، أَمَّا بَقِيَّةُ الْأَرْكَانِ؛ فَقَدْ فُرِضَتْ بِالْوَحْيِ، وَلِأَنَّ النُّطْقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةِ - وَهُمَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ - هُمَا الرُّكْنَانِ الدَّائِمَانِ اللَّذَانِ لَا يَسْقُطَانِ عَنِ الْمُؤْمِنِ

بيان عَظَمِ أَهْمِيَّةِ
الصَّلَاةِ وَمَكَانَتِهَا
فِي الْإِسْلَامِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5222 / 10.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (1335)، ومسلم في صحيحه، برقم: (20)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بحالٍ مِنَ الأحوالِ، وأما الصَّوْمُ والزَّكَاةُ والحُجُّ؛ فقد لا تتوفَّرُ لك شروطُها، فلا تجبُ عليك، كما أنَّ الصَّلَاةَ هي الفريضةُ المُكرَّرةُ على مدارِ اليومِ والليِّلةِ خمسَ مرَّاتٍ، وبها يتمُّ إعلانُ الولاءِ لله دائماً، وقد وزَّعَها الحقُّ سبحانه على الزَّمنِ؛ ليظلَّ المؤمنُ على صِلَةٍ دائمةٍ بربه، ولأهمِّيَّةِ الصَّلَاةِ ومكانتها في الإسلامِ اجتمعَ فيها كلُّ أركانِ الإسلامِ، ففي الصَّلَاةِ تتكرَّرُ الشَّهادةُ، وفي الصَّلَاةِ زكاةٌ؛ لأنَّ الزَّكَاةَ فرعُ العملِ، والعملُ فرعُ الوقتِ، والصَّلَاةُ تأخذُ الوقتَ نفسه، وفيها صيامٌ حيثُ يمتنعُ فيها عمَّا يمتنعُ عنه في الصَّوْمِ بل وأكثرَ، وفيها حُجٌّ؛ لأنَّ المُصلِّي يتَّجهُ في صلاتِهِ إلى الكعبة⁽¹⁾.

نُكْتَةُ ذِكْرِ الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ دُونَ غَيْرِهِمَا:

ذَكَرَ - في قوله ﷺ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ - الأمرُ بإقامة الصَّلَاةِ وإيتاءِ الزَّكَاةِ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، مَعَ دُخُولِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ لَأَنَّهُمَا أَهَمُّ الْأَعْمَالِ⁽²⁾.

عِلَّةُ الْعَطْفِ فِي جُمْلَةٍ: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾:

يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمُطَاعِ فِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ جَمِيعُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُنْتَظِمَةِ لِلْأَدَابِ الْمَرْضِيَّةِ أَيْضًا، أَي: وَأَطِيعُوهُ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ، وَمَا يَنْهَاكُمْ عَنْهُ⁽³⁾، وَعَلَيْهِ يَكُونُ عَطْفُهُ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَكْمِيلًا لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْأَمْرِينِ الْخَاصِّينِ الْمُتَعَلِّقَيْنِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِمَا ذَكَرَ مَا عَداهُمَا مِنَ الشَّرَائِعِ، أَي: (وَأَطِيعُوهُ فِي سَائِرِ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ... إِلَى آخِرِهِ)⁽⁴⁾.

بيان أنَّ أهمَّ
الأعمالِ القربةِ
البدنيَّةِ والماليَّةِ

العطفُ تكميلٌ،
أو هو مِنْ عَطْفِ
العامِّ على
الخاصِّ

(1) الشَّعْرَاوِيُّ، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِيِّ: 10325 / 17.

(2) ابْنُ عَطِيَّةٍ، لِلْحَزَرِّ الْوَجِيزِ: 4 / 193.

(3) أَبُو الشَّعْوَدِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 6 / 192.

(4) أَبُو الشَّعْوَدِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 6 / 192.

وقيل: حُصَّ الرَّسُولُ ﷺ بالإطاعة في الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ لَأَنَّهُ
صاحبُ البَيَانِ والتَّفْصِيلِ لما أَجْمَلَهُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ في فَرَضِيَّةِ
الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَتَفْصِيلُ كُلِّ مِنْهُمَا في السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ⁽¹⁾.

معنى (أَل) في لفظ «الرَّسُول»:

(أَل) في لفظ «الرَّسُول» في قولِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ: «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»
للعهد؛ لِأَنَّ المُرَادَ بِالرَّسُولِ المَأْمُورِ بِطَاعَتِهِ هُوَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لِأَنَّهُ
عنوانُ القُدْوَةِ والكمالِ، وبطاعته يُمكنهم أَنْ يَسْتَقِيمُوا على الجادَّةِ،
وَأَنْ يَأْخُذُوا وَجْهَتَهُمْ مع المؤمنين، بِأَنْ يَمْتثلُوا ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ على
لسانِ نبيِّهِ الكريمِ، فَإِنْ فَعَلُوا؛ كَانُوا مع الرَّاشِدِينَ، وَإِنْ تَوَلَّوْا؛ فَإِنَّمَا
على الرَّسُولِ البِلاغُ، وعلى اللَّهِ هِدَايَةُ مَنْ زَاغَ، وحَسَابُ مَنْ بَغَى⁽²⁾.

نُكْتَةُ إِعَادَةِ الأَمْرِ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ الأُسُوءَةِ:

تَقَدَّمَ الأَمْرُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ في قَوْلِهِ تَعَالَى: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»، وَعُلِّقَتْ بِطَاعَتِهِ الهِدَايَةُ، فَقِيلَ: «وَإِنْ تُطِيعُوهُ
تَهْتَدُوا»، وَكُرِّرَ الأَمْرُ بِطَاعَتِهِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»، وَعُلِّقَتْ بِهِ الرَّحْمَةُ، والغَرَضُ مِنْ هَذَا التَّكْرِيرِ:
تَأْكِيدُ وجوبِ طَاعَتِهِ ﷺ⁽³⁾، وتَقْرِيرُ مضمونِ الأَمْرِ السَّابِقِ، وَقَدْ
أَمَرَهُمُ اللَّهُ ﷻ هُنَا بِالذَّاتِ، بما أَمَرَهُمْ بِهِ فيما سَبَقَ بِواسطةِ
الرَّسُولِ ﷺ⁽⁴⁾.

سِرُّ تَكَرُّرِ طَاعَةِ الرَّسُولِ دُونَ تَكَرُّرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى:

كُرِّرَ الأَمْرُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ - في قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» - بَعْدَ الأَمْرِ بِهَا في قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»، وَلَمْ يُكْرَرْ الأَمْرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ لِما أَنَّ في

الرَّسُولُ رَمَزٌ
لِلقُدْوَةِ الرَّضِيَّةِ،
وَالنَّمُودَجِيَّةِ
الْفَرِيدَةِ

طَاعَةُ الرَّسُولِ
الأَكْرَمِ ﷺ
أُسْسُ الدِّينِ

تَأْبِي نَفُوسِ
العَرَبِ على
الانْقِيادِ لِلرَّسْلِ
مِنَ البَشَرِ

(1) الشَّعْرَاوِيُّ، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِيِّ: 10327 / 17.

(2) الخَطِيبُ، التَّفْسِيرُ القُرْآنِيُّ لِلْقُرْآنِ: 9 / 1313 (بِتَصَرُّفٍ).

(3) الرَّمْخَشَرِيُّ، الكَشَافُ: 3 / 252، وَالتَّسْفِي، مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ: 2 / 517.

(4) أَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ العَقْلِ السَّلِيمِ: 6 / 192.

النُفُوسِ - لا سِيَّما نُفُوسِ الْعَرَبِ - مِنْ صُعُوبَةِ الْإِنْقِيَادِ لِلْبَشَرِ، مَا لَيْسَ فِيهَا مِنْ صُعُوبَةِ الْإِنْقِيَادِ لِلَّهِ تَعَالَى⁽¹⁾.

عِلَّةُ عَدَمِ ذِكْرِ الْمُطَاعِ فِيهِ فِي السِّيَاقِ:

تعميمُ المُطَاعِ
فيه؛ لتأكيد
الالتزام بكلِّ
مأمُور الشَّريعة

قِيلَ: لَمْ يُذَكَّرْ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ - مَا يُطِيعُونَهُ فِيهِ لِقَصْدِ التَّعْمِيمِ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْحَذْفِ مُشْعِرٌ بِالتَّعْمِيمِ⁽²⁾، وَطَاعَتُهُ فِي حَيَاتِهِ تَكُونُ بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ فِي تَنْظِيمِ الْحَيَاةِ، وَضَبْطِ الْعِلَاقِ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَتَكُونُ طَاعَتُهُ بَعْدَ مِمَاتِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَثَرُ مِنْ سُنَّتِهِ، فَهِيَ الْمَحَجَّةُ الْوَاضِحَةُ، وَالسَّبِيلُ الْقَوِيمُ، وَالْمَلْجَأُ الْحَصِينُ، الَّذِي لَا يَخَافُ الْمُحْتَمِي بِهِ دَرْكًا، وَلَا يَخْشَى⁽³⁾.

بِلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾:

(لعلَّ) مِنْ اللَّهِ
واجبة؛ ترغيبًا
في تَطَلُّبِ الرَّحْمَةِ

لَفْظُ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، مَعْنَاهُ: فِي حَقِّكُمْ وَمُعْتَقَدِكُمْ⁽⁴⁾، أَيْ: لَتَكُونُوا عِنْدَ مَنْ يَجْهَلُ الْعَوَاقِبَ، عَلَى رَجَاءٍ مِنْ حَصُولِ الرَّحْمَةِ، مِمَّنْ لَا رَاحِمَ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُهُ⁽⁵⁾، وَأَمَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ ﷺ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْعَوَاقِبُ، وَ(لعلَّ) مِنْهُ وَاجِبَةٌ⁽⁶⁾، وَفِي ذَلِكَ مَزِيدٌ حَتَّى عَلَى طَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَالَ أَبُو زَهْرَةَ: "وَالرَّجَاءُ هُنَا مِنَ النَّاسِ، لَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَرْجُو؛ لِأَنَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ، وَمَا يُكِنُّهُ الْمُسْتَقْبَلُ"⁽⁷⁾.

نُكْتَةُ بِنَاءِ ﴿تُرْحَمُونَ﴾ بِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ:

تفخيمُ شأنِ
الفاعلِ، مُبِينٌ
عَنِ الْمُرَادِ

جِيءَ بِالْفِعْلِ ﴿تُرْحَمُونَ﴾ - فِي قَوْلِهِ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ - مُبِينًا لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ؛ تَفْخِيمًا لِشَأْنِ الْفَاعِلِ؛ لِأَنَّ

(1) الألويسي، روح المعاني: 397 / 9.

(2) الشَّوْكَانِيُّ، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 56 / 4، وَابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 289 / 18.

(3) أَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 5222 / 10 (بِتَصَرُّفٍ).

(4) ابْنُ عَطِيَّةٍ، الْحَزَرُ الْوَجِيزُ: 193 / 4.

(5) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الذَّرَرِ: 307 / 13.

(6) أَبُو عُبَيْدَةَ، مَجَازُ الْقُرْآنِ: 69 / 2.

(7) أَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 5223 / 10.

فَعَلَ الرَّحْمَةُ لَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ ﷻ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْأُلُوْهِيَّةِ، وَصِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ، وَالْمَعْنَى: "رَجَاءُ أَنْ تُرَحِّمُوا بِيَقَاءِ الْعِزَّةِ، وَالْأَنْ تَكُونُوا نَهَبًا مَقْسُومًا بَيْنَ الْأُمَمِ، وَالْأَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ تَدَاعِيَ الْأَكْلَةِ عَلَى قَصْعَتِهَا"⁽¹⁾.

غرض التعبير بالمضارع: ﴿تُرَحِّمُونَ﴾:

عُبرَ بصيغة المضارع في قول الحق تبارك شأنه: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرَحِّمُونَ﴾؛ لأنَّ المضارع هنا للاستقبال، بقرينة أنَّ الرحمة موعودٌ بها، وهي مُعلَّقة على طاعة الرسول ﷺ، وتكرار الأمر بطاعة الرسول ﷺ؛ لتأكيد وجوبها، وتعليق الرحمة بها، أي: بالطاعة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرَحِّمُونَ﴾، أي: راجين الرحمة.

بلغة الإيجاز في الآية:

جمع قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحِّمُونَ﴾ جميع الأعمال الصالحات، فقد اشتمل على أهمها - وهو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة - بالتصريح، واشتمل على سائرهما بعموم حذف المتعلق، بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، أي: في كل ما يأمركم به، وينهاكم عنه⁽²⁾.

❁ الفروق المعجمية:

الإيتاء والإعطاء:

فُرِّقَ بَيْنَ الْإِيْتَاءِ وَالْإِعْطَاءِ مِنْ وَجْهِ، مِنْهَا: أَنَّ فِي الْإِعْطَاءِ دَلِيلَ التَّمَلُّكِ دُونَ الْإِيْتَاءِ⁽³⁾، وَمِنْهَا: أَنَّ الْإِيْتَاءَ أَقْوَى مِنَ الْإِعْطَاءِ؛ لِأَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ، كَالْمُلْكِ وَالْحِكْمَةِ وَالْقُرْآنِ، وَمِنْهَا: أَنَّ الْإِيْتَاءَ فِيهِ مَعْنَى الْوُجُوبِ وَالْإِلْزَامِ، وَالْإِعْطَاءُ فِيهِ مَعْنَى التَّفَضُّلِ

الرَّحْمَةُ أَمْرٌ
مُسْتَقْبَلِيٌّ،
تَتَوَخَّاهُ الْأَنْفُسُ
الطَّائِعَةُ الرَّكْبِيَّةُ

اشتمال الآية
على جميع
الأعمال
الصالحات،
مفيد في البيان

الإيتاء أقوى من
الإعطاء

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5223 / 10.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 289 / 18.

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 86.

والإكرام⁽¹⁾، قال الجويني: "لا يكاد اللُّغويون يُفَرِّقون بينَ الإعطاء والإتيان، وظهر لي بينهما فرقٌ أنبى عليه بلاغةٌ في كتاب الله، وهو أنَّ الإتيانَ أقوى منَ الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنَّ الإعطاءَ له مطاوع، يقال: أعطاني فعطوتُ، ولا يقال في الإيتاء: آتاني فأتيتُ، وإنَّما يقال: آتاني فأخذتُ، والفعل الذي له مطاوع أضعفُ في إثبات مفعوله منَ الذي لا مطاوعَ له"⁽²⁾.

(1) زيدان، الفروق اللُّغويَّة: 248 - 249.

(2) الزُّركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 75.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-79-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»